من الظلمات الى النور يعني بهذا القران والمراد من الظلمات ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور
الايمان وقال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل ان طريق الكفر والبدع كثيرة وطريق الحق ليس الا
واحد لانه قال تعالى لتخرج الناس من الظلمات الى النور فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهو صيغة جمع
وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق
العلم والايمان ليس الا واحد باذن ربهم يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعني الى
دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال
المستحق لجميع المحامد الله قرئ بالرفع على الاستيناف وخبره ما بعده وقرئ بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال
ابو عمرو وقراءة حفص على التقديم والتاخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض يعني ملكا وما فيهما عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة الله الذي يستحق العبادة
وله ما في السموات وما في الارض وعبدوا من لا يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة خلق الله الذي
ومن جملة ما في السموات وما في الارض من عذاب شديد يعني لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يعني يختارون الحياة الدنيا ويوثرونها على الاخرة ويصدون
عن سبيل الله ويمنعون الناس عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون لها زيغا وميلا
فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في
ويبغونها راجعة الى الدين ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق بجهة الحرام اولئك يعني
هولاء من هذه صفته في ضلال بعيد يعني عن الحق يجوز ان يراد في ضلال بعيد بعدا وفيه بعد لان
الضلال يبعد عن الطريق قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني بلغة قومه
ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى ليبين لهم يعني ما ياتون وما يذرون **فان**
قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى
الناس جميعا بدليل قوله تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى الثقلين
الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب
وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون وجه الجمع **قلت**
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى الخلق
لانهم تبع للعرب ثم انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون له بالسنتهم ويدعوهم الى الله تعالى بلغاتهم
وقيل يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده ومنهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى
وقيل ان الرسول ارسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه
بلسان قومه كان اقرب للفهم عنه واقوم للحجة عليهم في ذلك فاذا فهموا عليهم انتشر علمه وقامت التراجم
ببيانه وتفهيمه من يحتاج الى ذلك ممن هو من غير العرب واذا كان الكتاب واحدا بلغات وانجح مع
اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه
واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يعني ان الرسول ليس
عليه الا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المضل يفعل ما يشاء وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب
الحكيم في جميع افعاله قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا المراد بالايات المعجزات الذي جاء بها موسى
عليه السلام مثل العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة ان اخرج قومك من

الظلمات

الظلمات الى النور اي ان اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام الله قال ابن عباس
وابن كعب ومجاهد وقتادة يقال فلان عالم بايام الله اي بوقائعه فيهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة
والنقمة فاجتزأ بذكر الايام عن ذلك لان ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم بايام الله وشدة انتقامه ممن خالف امره
وكذب رسله وقيل بايام الله في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة حين كانوا تحت ايدي
القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم الله ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور يعني الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبور والشكور
بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم
بالايات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله وهدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن حصولها
الا لمن يكون صابرا شاكرا اما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
لما امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه بايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم **فان قلت**
قال في تفسير البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق **قلت**
انما حذف الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن
ذكر الواو وتقول جاءني القوم زيد وعمرو واذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان ال
فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير التذبيح وبالذبح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
نوع اخر من العذاب الا انه تفسير للعذاب ويستحيون نساءكم يعني يتركونهن احياء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
فان قلت كيف كان فعل فرعون بلاء من ربهم **قلت**
تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوه كان ذلك بلاء من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء
عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه
اولى لانه موافق للاول وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم **فان قلت** هب ان
تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء **قلت** كانوا يستحيون نساءهم ويتركونهم
تحت ايديهم كالاماء فكان ذلك بلاء واذ تاذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل واذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا حين تاذن ومعنى تاذن اذن اي اعلم ولا بد من تفعل معنى ليس في افعل كانه قيل واذن
ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم يعني نعمة الى نعمة
ولاضاعفن لكم ما اتيتكم وقيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لان شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل
الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة
وههنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بمطالعة نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله ونعمه وكرمه واحسانه
اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذكر ذلك يوجب المزيد وبذلك يتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف
واعلى منه وهو ان يشغله حب المنعم على الالتفات على النعم وهذا مقام الصديقين نسال الله القيام
بواجب شكر النعمة حتى تزداد من فضله وكرمه واحسانه وانعامه قوله عز وجل ولئن كفرتم المراد بالكفر
هاهنا كفر النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ان عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولم يشكرها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)